

أهمية تعليم الفلسفة للأطفال

د. مبروكة مصطفى غومة

كلية الآداب بالزاوية/جامعة الزاوية

ملخص البحث:

إنَّ الدماغ يعد من النعم التي أسبغها الباري سبحانه على بني الإنسان، فهو مع حجمه الصغير، يقوم بعمليات معقّدة جداً يعجز عنها أي حاسب آلي، مهما كان عملاقاً وبسرعة فائقة ومدهشة.

إنَّ الحيوان يتحرك وفق غرائزه، ولهذا فقدرتة على التعلّم محدودة جداً، ووعيه بذاته محدود أيضاً وليس كذلك الإنسان، العقل يقابل الغريزة والإنسان حين يتصرّف تبعاً لغرائزه، فأثمة يسير على طريق الحيوان، وحين يفكر ويحرر ويقدر، فهو يتجاوب مع الخصوصية التي ميّزه الله تعالى بها على سائر المخلوقات، ويعمّق بالتالي معنى وجوده، كما يحسّن وضعيته في الكون.

إنَّ الطبيعة الإنسانية تقتضي أن يطرح الإنسان على نفسه أسئلة ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) كونية وخالدة وتتجاوز الواقع المادي، ولكنّ القدرة على استعمال العقل ليست فطرية، كالتفكير النقدي، والجدل والتحليل، بل هي قدرة مكتسبة تحتاج للتعلّم، وبالتالي لا يمكن للأطفال أن يفعلوا ذلك بمفردهم، ولابد من توجيههم مبكراً. وعليه فإنّ إشكالية الموضوع تكمن في هل الأطفال قادرين على التعلّم؟ وماهي المداخل المتوفرة والممكنة لتعلّم الأطفال على المستوى المنهجي والتطبيقي؟

ولأهمية الموضوع: وهو تعليم الأطفال التعلّم لا ينبغي أن تؤخذ الدعوة إلى تعليم الفلسفة للأطفال بنحو حرفي، وإنّما المطلوب أن يتم فهمها في إطار إعداد الأطفال لبعض مقدّمات التفكير، أو تقديم بعض الشروط الضرورية لهذا التفكير، أو نقول مساعدة الطفل على تنظيم أفكاره وترتيبها وفق ما تقتضيه طبيعة عقله، بعيداً

عن قهره وفرض معارف قد تنتقل عليه، وتؤدي إلى مفعول عكسي، وربما جعله يتوقف عن التفكير.

وعليه آثرنا أن نشير إلى الاهتمام بالطفولة وأسئلتهم التي تطرح بحيث نسأل أنفسنا هل الأطفال قادرين على التفلسف أم لا؟ كذلك لا ينبغي إغفال البعد التخيلي عند الأطفال وحصرهم بالتفكير المنطقي الرياضي، وإن وجدنا لهذا التحيز جذوراً في قلب الفلسفة الأفلاطونية، ولاسيما في أمثلة الكهف حيث يربط أفلاطون المعرفة بالرشد.

والهدف من هذا البحث هو طرح سؤال، ما الغاية والهدف من تعليم الفلسفة للأطفال؟ وكيف يستعملون المعرفة التي تقدمها الفلسفة لهم؟ وهي معرفة متهمة بالتجريد الذي يفوق قدراتهم، فضلاً عن كونهم كائنات زمنية - مكانية لا يتجاوز تفكيرهم التجربة المباشرة.

ولأهمية الموضوع قسّمنا البحث إلى محورين، وسيكون منهج البحث تحليلي ما أمكن إلى ذلك سبباً.

Research Summary:

The brain is one of the blessings bestowed by God Almighty on human beings. Although small in size, it performs very complex operations that no computer, no matter how gigantic, is capable of, at an incredible speed.

The animal moves according to its instincts, therefore, its ability to learn is very limited, and its self-awareness is also limited, but man is not limited by either. The mind corresponds to the instinct, and the human being when he acts according to his instincts, he follows the path of animals, and when he ponders, reflects and contemplates, he interacts with the gift that God Almighty has distinguished him with over all other creatures, thus deepening the meaning of his existence, as well as improving his situation in the universe.

Human nature requires that man ask himself metaphysical questions that are universal, eternal and transcend the material

reality, but the ability to use the mind is not innate, such as critical thinking, argumentation and analysis, but rather an acquired ability that needs to be learned, and therefore children cannot do that. On their own, they must be directed early on. Accordingly, the problematic issue is, are children able to philosophize? What are the available and possible entrances for children's learning at the methodological and applied level?

Because of the importance of the topic, which is teaching children to philosophize, the call to teach philosophy to children should not be taken literally. Rather, it is required to be understood within the framework of preparing children for some of the premise of thinking, or providing some necessary conditions for this thinking, or we say helping the child organize and arrange his thoughts according to what the nature of his mind leads him away from his oppression and the imposition of knowledge that may burden him and lead to the opposite effect, and may make him stop thinking.

Accordingly, we chose to refer to the interest in childhood and their questions that are raised so that we ask ourselves, are children capable of philosophizing or not? Likewise, the imaginative dimension of children should not be neglected and restricted to logical-mathematical thinking, even if this bias has its roots in the heart of Platonic philosophy, especially in the parable of the cave, where Plato links knowledge with rationality.

The aim of this research is to ask a question, what is the purpose and aim of teaching philosophy to children? How do they use the knowledge that philosophy offers them? It is a knowledge accused of abstraction that exceeds their abilities, as well as being temporal-spatial beings whose thinking does not go beyond direct experience.

Because of the importance of the topic, we divided the research into two axes, and the research method will be analytical, as much as possible:

المقدمة:

إنَّ الدماغ يعد من النعم التي أسبغها الباري سبحانه على بني الإنسان، فهو مع حجمه الصغير، يقوم بعمليات معقّدة جداً يعجز عنها أي حاسب آلي مهما كان عملاقاً وبسرعة فائقة ومدهشة.

إنَّ الحيوان يتحرّك وفق غرائزه، ولهذا فقدرتّه على التعلّم محدودة جداً، ووعيه بذاته محدود أيضاً وليس كذلك الإنسان، العقل يقابل الغريزة والإنسان حين يتصرّف تبعاً لغرائزه، فهو يسير على طريق الحيوان، وحين يفكر ويحرر ويقدر، فهو يتجاوب مع الخصوصية التي ميّزه الله تعالى بها على سائر المخلوقات، ويعمّق بالتالي معنى وجوده، كما يحسّن وضعيته في الكون.

"الدماغ ليس هو العقل، لكنّه يشكّل الوعاء الذي يسكن فيه العقل، أمّا العقل فهو مكّون من مجموعة الإمكانيات والمبادئ التي نستخدمها في تصورنا للوجود، وفي فهمنا للمحيط، كما نستخدمها في التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح"⁽¹⁾ ولذلك نجد العقل يتعامل مع القضايا والمسائل والمشكلات وكل الأشياء عبر أدوات، لكن أدواته من نوع مختلف، الحدّاد يتعامل مع الحديد من خلال المطرقة والسندان والمقص، والنجّار يتعامل مع الخشب من خلال المنشار والقادوم والفأرة، أمّا العقل فأدواته عبارة عن رموز لغوية وتعريفات ومصطلحات وأفكار ومفاهيم ونظريات ورؤى ومعادلات، وكما أنّ الحدّاد يجد نفسه عاجزاً عن التعامل مع الحديد من غير سندان ومطرقة، فكذلك العقل يجد نفسه عاجزاً عن التفكير في أمور لا يملك معلومات وأفكاراً عنها، فعلى سبيل المثال لو طلبنا من أي إنسان أن يفكّر في قضية من القضايا مثل إصلاح (جامعة) وهو لا يعرف معنى الجامعة أو طلبنا منه التحدّث عن قيمة (الإخلاص) أو (التعاون) وهو لا يعرف أي شيء عن دلالة هذه الكلمة، فأنتنا نكون كمن طلب من شخص أن يدخل بيتاً ليس له باب ولا نافذة⁽²⁾، ولهذا نلاحظ أنّ الأطفال حين يسمعون الكبار، يتحدثون في موضوع جديد، فإنهم يسألون عن المعاني التي تشكل مفاتيح الموضوع لأنهم من غير ذلك لا يستطيعون استيعابه.

ولأهمية الموضوع: وهو تعليم الأطفال التفلسف لا ينبغي أن تؤخذ الدعوة إلى تعليم الفلسفة للأطفال بنحو حرفي، وإثماً المطلوب أن يتم فهمها في إطار إعداد الأطفال لبعض مقدمات التفكير، أو تقديم بعض الشروط الضرورية لهذا التفكير، أو نقول مساعدة الطفل على تنظيم أفكاره وترتيبها وفق ما تقتضيه طبيعة عقله، بعيداً عن قهره وفرض معارف قد تثقل عليه، وتؤدي إلى مفعول عكسي، وربما جعله يتوقف عن التفكير.

وعليه آثرنا أن نشير إلى الاهتمام بالطفولة وأسئلتهم التي تطرح بحيث نسأل أنفسنا هل الأطفال قادرين على التفلسف أم لا؟ كذلك لا ينبغي إغفال البعد التخيلي عند الأطفال وحصرهم بالتفكير المنطقي الرياضي، وإن كان لهذا التحيز جذوره في قلب الفلسفة الأفلاطونية، ولاسيما في أمثلة الكهف حيث يربط أفلاطون المعرفة بالرشد.

والهدف من هذا البحث هو طرح سؤال، ما الغاية والهدف من تعليم الفلسفة للأطفال؟ وكيف يستعملون المعرفة التي تقدمها الفلسفة لهم؟ وهي معرفة متهمة بالتجريد الذي يفوق قدراتهم، فضلاً عن كونهم كائنات زمنية - مكانية لا يتجاوز تفكيرهم التجربة المباشرة، وكذلك ضرورة الإجابة على الأسئلة المطروحة من قبل الأبناء وعدم تجاهلها وفتح الموضوعات التي لا يمكن أن تكون إجابتها مغلقة، بالإضافة إلى بيان قدرة الأطفال على التفلسف وخصوصاً الإنسان كلما كان أصغر، طرح الأسئلة مباشرة دون رقابة ذاتية أو خوف من أن يبدو كالأحمق، فضلاً عن أن الأطفال يمكنهم طرح أسئلة محرجة عن العالم من حولهم لا يجرؤ الكبار على طرحها أو طرحها على أنفسهم.

إن الطبيعة الإنسانية تقتضي أن يطرح الإنسان على نفسه أسئلة ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) كونية وخالدة وتتجاوز الواقع المادي، ولكن القدرة على استعمال العقل ليست فطرية، كالتفكير النقدي، والجدل والتحليل، بل هي قدرة مكتسبة تحتاج للتعلم، وبالتالي لا يمكن للأطفال أن يفعلوا ذلك بمفردهم ولا بد من توجيههم مبكراً. وعليه

إشكالية الموضوع تكمن في هل الأطفال قادرين على التفلسف؟ وماهي المداخل المتوفرة والممكنة لتعلم الأطفال على المستوى المنهجي والتطبيقي؟ ولأهمية الموضوع قسّمنا البحث إلى محورين، وسيكون منهج البحث تحليلي ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

المحور الأول- الأطفال والأسئلة الوجودية (مبحث الانطولوجيا):

يقول ميشال فوكو: الطفل مؤهل أكثر إلى أن يمارس التفلسف لماذا؟ لأنه لم يقع في شيراك النحو والصرف⁽³⁾، بمعنى أنه لم يقع وفق أفكار مسبقة التي يلقنها له المجتمع.

وعليه نطرح سؤال على أنفسنا هل الأطفال قادرون على التفلسف؟ إن مرحلة الطفولة المبكرة تقع بين ثلاث وست سنوات، وقد فطر الله الخالق عزّ وجلّ الطفل على حب التساؤل في هذه السن كي يزود عقله بأكبر قدر ممكن من المفاهيم والمعلومات، وقد أطلق أحد الباحثين على هذه المرحلة اسم (مرحلة التساؤل) حيث تدل بعض الدراسات على أنّ ما بين (10% إلى 15%) الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة.

ولهذا يقول نيتشه "لا يمكن أن نتفلسف إلا إذا عدنا أطفالاً"⁽⁴⁾ ذلك من خلال أدوات الفلسفة والتي يتحدّث بها أطفالنا دائماً: (ماذا) و(أين مكانه) و(كيف صار) و(من أين جاء) و(ما هو) و(ماهي) و(هل تعرف) إنهم يريدون معرفة كنه الأشياء التي تثير انتباهه، ويريد أن يفهم الأشياء التي يراها ويسمع عنها، وقد يفهم الجواب، وقد لا يفهمه، وقد ينصت وقتاً كافياً للإجابة، وقد لا ينصت⁽⁵⁾.

الأسئلة التي تطرح في العائلة عادةً ما يصد الطفل على أسئلته التي يطرحها وخصوصاً في المجتمع العربي عامة والليبي بشكل خاص، وأحياناً يعطى الطفل إجابة مغلقة بمعنى كلمة أو كلمتين وخصوصاً عندما يشاهدون التلفاز أو الكورة بحيث يشعر الطفل لا أهمية له وهذا وضع كارثي تعاني منه العديد من الأسر، فالطفل يسأل أسئلة وجودية من أين جننا؟ وإلى أين نمضي؟ أين الله؟ ولماذا لا أراه؟

ولهذا هناك العديد من الأهل لا يعطون وقتاً للاستماع أو النقاش بمرونة للأبناء وهم يدركون أنهم مازالوا غير قادرين على التفكير أو التفلسف، وتعلم آلياته والتي تبدأ منه الأسرة وتعليمه كيف يربط المقدمّة بالنتائج، وحتى في تقديمها الإجابة تكون أحياناً غير صحيحة وخصوصاً الأسئلة المخرجة بحجة أنها واهية ولا قيمة لها، والحال أنها أسئلة يجد المربون أنفسهم أمامها عاجزين عن الإجابة، فيفضّلون قمعها، ولهذا القمع أثر نفسي ومعرفي خطير على صعيد مستقبل الأطفال، لكونهم لن يصيروا قادرين على القيام لاحقاً بطرح الأسئلة، من أجل تمكينهم من بناء معنى لوجودهم وتحفيزهم على الإبداع والابتكار وسيفقدون بالتالي ما يجب أن يتمتع به الإنسان بوصفه ذاتاً، كالاستقلال والحرية، والذي سيمكّنه من وضع مشاريعه المستقبلية، وتقرير خطواته اللاحقة، في كل فعل سيقدم عليه متحملاً نتائج أفعاله.

وربما نجد هذا الأمر في جامعاتنا، فالطالب لا يصل إلى التجريد لفهم وإدراك وتصريف المفاهيم، ويبدو أنه هناك خلل ما في تدريب العقل على طرح الأسئلة وهي معاناة كبرى. حتى على مستوى المنهج لا يوجد تجريد يبحثون على مادة جاهزة وباعتباري أستاذ أكاديمي أوجه طلابي دائماً إلى البحث والتفكير في محاولة لتحريرهم من القوالب الجاهزة.

عوداً إلى بدء كيف نعلم الطفل طرح الأسئلة؟ كيف نعلمه التفلسف منذ الحضانة، الأمر يتعلق بإكساب الأطفال جملة من المهارات التي تجعلهم يفكرون بأنفسهم.

لقد جرى تناول علاقة الطفل بالفلسفة عند الكثير من الفلاسفة ومنهم سقراط (479 - 388 ق.م) في مسألة التهكم والتوليد، وهي تقنية اعتمدها الفيلسوف تقوم على مسألة الأفكار القبلية للمتداولين اعتماداً على الحوار؛ وأفلاطون (427 - 347 ق.م) منذ صغر كذلك الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز (1883م) الذي أشار إلى ممارسة الفلسفة عند الأطفال، باعتبارهم يمتلكون مواقف فلسفية، وذلك حينما يطرحون أسئلة ماذا؟ أو ما هو؟ أليست هذه الأسئلة فلسفية بامتياز؟ ألا تعد دهشتهم

الدائمة إزاء الوجود دهشة فلسفية؟ أليس من حق هؤلاء المحافظة على طريقتهم في التفكير، أليس من المهم والأجدى التوقُّف والبحث عن الفائدة الناتجة عن هذه التساؤلات، في حياة المتعلمين لاحقاً والبحث منها إلى بناء طرق تفكير تؤدي بهم إلى الابتكار الدائم لمختلف أشكال وجودهم بمكوناته كلها⁽⁶⁾.

وإذ فكرنا في الأمر بعناية، أليس هذا ما يفعله الأطفال منذ الصغر؟ يولد الأطفال بفضول فطري لمعرفة العالم من حولهم، ويقضون السنوات الأولى من حياتهم وهم يتساءلون عن سبب وجود الأشياء، موقف ليس بعيداً عن موقف الفلاسفة العظماء، الذين تستند أفكارهم إلى البحث عن إجابات لأسئلة معيّنة، لذلك فالأطفال هم فلاسفة محتملون - قادرين على التساؤل علمياً عن كل شيء وإيجاد إجابات مفاجئة للأسئلة التي تطرأ⁽⁷⁾. لذلك يقول كانط: "لا يمكن أن نتعلم الفلسفة، بل يمكننا أن نتعلم التفلسف"⁽⁸⁾، لأنَّ الطفل في الصغر لم يتعلم أسلوب التفلسف واستمر معه الحال إلى المرحلة الجامعية، ربما لظروف معيّنة قبل القمع وعدم الرد عن الأسئلة التي سألها في مرحلة الطفولة، لذلك وحتى وهو طالب تعود على تلقّي المعلومات وتدوينها وتخزينها وإرجاعها عند اختياره أثناء الامتحان أحياناً دون أن يفهمها ويستوعبها ودون أن يقارنها ويميزها عن المعارف السابقة ودون تبيين الجدة فيها، وهذا الأمر قد يجري بصورة معتادة مع العلوم الصحيحة والتاريخية وخاصة الرياضيات والفيزياء ولكن الأمر يختلف مع الفلسفة التي تستوجب التسلح بالمنهج واتباع طريقة التقشيش عن العلم وتواصل البحث.

يعتقد الطالب أنَّ تعلم الفلسفة في المتناول، وأنَّه يصبح فيلسوفاً بمجرد مطالعته أمهات الكتب الفلسفية والدراسة المستفيضة للأثار والسير والحكم والنظريات والأفكار والمواقف والعبر التي تركها الفلاسفة لكن هذه العملية مستحيلة لأنَّ المرء لا يتعلم الفلسفة، بل يتعلم التفلسف أي يخوض تجربة التفكير الفلسفي⁽⁹⁾.

وتعد أسئلة الأطفال عن الجنس ولاسيما تلك التي تدور حول الحمل والولادة، والتمايز الجنسي بين الذكر والأنثى، ومسائل أخرى حول الأمور الجنسية من أهم

الأسئلة التي يطرحها الأطفال على الوالدين بشكل خاص، بحسب مستوى الوعي لديهم، وقدرتهم على التعبير.

وفي أبرز أسئلته بهذا الخصوص: من أين يأتي الطفل؟ وكيف يتكوّن الجنين داخل الرحم؟ وكيف يحدث الحمل والولادة؟ ولماذا يختلف الذكر عن الأنثى في بعض الأمور؟ وغيرها من الأسئلة، ويذهب بعض العلماء إلى أنّ الطفل يبدأ بالأسئلة الجنسية بشكل واضح، والاستفسار عن الأمور بهذا الخصوص مع بداية السنة الخامسة، وهذا لا يعني - قطعاً - أنّه لا تدور في أذهانهم أسئلة حول هذه المسائل قبل هذا العمر.

وهنا يبدي الكثير من الآباء والأمهات مشاعر القلق والحيرة والإحراج حول ما يسألونه، أو حول المعلومات التي يجب تقديمها لهم، وماهي الأساليب والطرائق، أو العمر المناسب في توضيح مثل هذه المفاهيم؟، كما يجبرونه - أحياناً - على التوقّف عن طرح أنواع هذه الأسئلة الاستكشافية بدعوى أنّها خارج حدود الأدب والحياء، كما يحدث أنّ تواجه أسئلتهم هذه بالعجز المعرفي/ التربوي) أو اللجوء إلى المماثلة والكذب، لتجنّب شرح هذه المسائل الحسّاسة والتخلّص من المواقف التي وضعوا فيها⁽¹⁰⁾.

لقد أثبتت الدراسات العلمية في هذا الشأن أنّ الأطفال الأكثر ذكاءً وإبداعاً هم الذين يتميّزون بفضول أقوى وأنشط، وأنّ في حال منع الطفل من طرح الأسئلة، أو إذا أسيئت معاملته خلال طرحه الأسئلة المخرجة يكون عرضة لبعض المشكلات النفسية كالانسحاب، والاكتئاب، والعدوانية، وضعف القدرة على التكيف الشخصي والاجتماعي، ممّا يؤثر سلباً على نموه العقلي والاجتماعي⁽¹¹⁾.

والحقيقة الهدف من أسئلة الطفل وأنّه يبحث عن أسباب حياته ومقوماتها، ولابد - وفقاً لذلك - أن يحصل على إجابات صحيحة إزاءها.

أمّا بالنسبة إلى تطور هذه المفاهيم لدى الطفل وفقاً لتطوره العمري فأنّه: في سنوات 4-5 قد يبدأ الطفل بالاهتمام في هذه المسائل بمفهومها البسيط، وقد يبدأ

بالحديث عند البلوغ ويسأل من أين يأتي الأطفال، أو لماذا تختلف أجسام البنات عن الأولاد؟ أمّا في سنوات 5-7 فيتعلّم الطفل معلومات أكثر، كما لا ننسى أو يمكننا القول بأنّه رغم أنّ الخيال يعد خصيصة إنسانية صرفة، إلا أنّ البشر يختلفون كثيراً في درجة تخيلهم، فالتخيل عند الطفل يشغل حيزاً كبيراً من نشاطه العقلي منذ السنوات الأولى من عمره، وهو يتخيل وقائع وحوادثٍ وقيم الكثير من أفكاره وألعابه وآماله على الخيال.

على سبيل المثال "تسعى قصص الخيال العلمي للأطفال إلى تنمية التفكير العلمي، وإطلاق قدراتهم المختلفة إلى آفاق واسعة وإكسابهم المهارات الأساسية التي تساعدهم في التفكير الحر المنظم، فمن خلال تقديم منهج يطرح المفاهيم العلمية المتطورة يجعل الثقافة العلمية أسلوباً في حياتهم، وذلك بهدف تأهيلهم لعالم المستقبل، وما يمكن أن يحمله من تطورات وإنجازات على الصعد كافة"⁽¹²⁾.

متى يبدأ الشعور الديني لدى الطفل؟

وإذا ما تساءلنا عن السن التي يبدأ فيها الطفل في الشعور بالمعرفة الدينية، فأنتنا لا نجد اتفاقاً كاملاً بين الباحثين حول هذه السن، فمنهم من يرى بعض المظاهر الدينية في سلوك الأطفال الصغار، ومنهم من يرى أنّ الطفل لا يقوى على إدراك المفاهيم الدينية إلا بعد الوصول إلى مرحلة متقدّمة من النضج العقلي.

فطبقاً لرأي الج F.Ilg يستطيع الطفل التمييز بين الصواب والخطأ وبين الرديء والحسن في سن السابعة، أمّا فيما قبل سن الرابعة فهو غير قادر على فهم الآراء الدينية، وعندما يبلغ الطفل سن الأربع سنوات يبدأ في توجيه مثل هذه الأسئلة ذات الطابع الديني والفلسفي.

من الذي صنعك، من الذي صنع هذه الأشجار، من هو الله؟ ، ما الذي يشبهه؟ هل الله رجل طيب ظريف؟ هل هو يحب الحلوى؟ هل يشبه الله أبي؟ أين يقيم الله؟ وهل يرانا الآن؟"⁽¹³⁾. ولذلك فلا عجب أنّ نجد طفلة صغيرة "سن أربع سنوات كانت تسير في يوم مطير وكانت تمشي مع أمها فنظرت إلى أعلى السماء وقالت: شكراً لك

يا إلهي لجعل الطريق جافاً في بعض الأماكن، إنك ترى أنني أرتدي حذائي الجديد" (14).

وخلافاً لهذا الرأي يذهب فالنتين Valentine إلى القول: "لا يستطيع الطفل أن يدرك معاني المصطلحات المجردة كمعنى الشفقة والله والعدالة والإحسان... الخ قبل سن الثالثة أو الرابعة عشرة (15). لأن المفاهيم الدينية لا يفهم الطفل الصغير معناها؛ لأن قدرته العقلية لا تقوى على إدراك المعنويات المجردة كالخير والشر والصلاح والتقوى، ولكنه يدرك فقط الأمور الحسية الملموسة التي يستطيع أن يشاهدها وأن يحس بوجودها. وعندما يصل الطفل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع أن يناقش الأمور الدينية ويأخذ الطفل في طرح بعض الأسئلة التي تدور حول الخلق والموت والحياة والبعث وأصل العالم، وهكذا وفي أول الأمر يقبل ما يلقى عليه من إجابات ثم يتقدمه في العمر يعيد النظر فيها.

وفي بداية مرحلة المراهقة يميل المراهق إلى الشك في القيم الدينية التي تعلمها في مرحلة الطفولة، ويعجز عن فهم المعاني الدينية والفلسفية العميقة، ويظل يشك في هذه القيم حتى أواخر مرحلة المراهقة، وعندما يبلغ المراهق حوالي سن السادسة عشرة فإنه يتحوّل نحو الدين مرة أخرى، ولذلك تعرف هذه الفترة بفترة اليقظة الدينية (16).

" تدل مناقشات المراهق وجدله العنيف على وجود اليقظة الدينية، حيث يميل إلى مناقشات أمور مثل الثواب والعقاب، أو الجنة والنار والبعث والخلود والقضاء والقدر والجبر والاختيار، وقد تزداد وطأة الشك الديني عندما يموت أحد آباء أو أصدقاء المراهقين المقربين، وعندما يقترب الفرد من مرحلة الرشد يتحوّل من الشك إلى اليقين، فيفكر تفكيراً هادئاً في الأمور الدينية ويظهر عندئذ الشعور بالتسامح نحو أصحاب الديانات الأخرى" (17).

وبالرغم من أن كثيراً من علماء النفس يزعمون أن فترة المراهقة تمرُّ بحالة ارتباك خلقي وتطرف سياسي، وتغير في القيم، وقبول القيم الدينية أو رفضها، إلا أن هذا لا يحدث إلا بالنسبة لقلّة بسيطة من المراهقين، أمّا الأغلبية الساحقة فأنّها تظل

محتظة بالاتجاهات الدينية التي يعتنقها الوالدان، ويعتقون مبادئ تشبه الوالدين في الفلسفات السياسية والأخلاق والجنس وما أشبه ذلك.

ومن خلال تطور نمو التفكير عند الطفل ربما نسأل أنفسنا عن مدى إمكان الطفل الصغير القيام بعملية التفكير، يعتقد عالم النفس (جان بياجيه J.Piaget 1896-1980) في نظريته للنمو والبناء المعرفي أن الطفل قبل سن الحادية عشر لا يستطيع أن يمارس عملية التفكير المنطقي، وأنه يجب أن يبدأ في التدريب على التفكير بعد هذه السن.

وعلى الرغم من ذلك فيباجيه يعترف بوجود أنواع أخرى من التفكير التي يستطيع أن يمارسها الطفل قبل هذه السن، فالطفل يستطيع أن يعلل الظواهر المادية، فحين تسأله لماذا يسير المركب الشراعي يقول لأنّ الهواء هو الذي يدفعها⁽¹⁸⁾.

وقد أسفرت أبحاثه على أن الطفل قبل سن السابعة يستطيع أن يدرك العلاقة بين موضوعين مختلفين، وأن يربط بينهما على شرط أن تكون هذه الموضوعات بسيطة ومألوفة لديه وتتناسب مع مستوى قدرته كما تبين له أن الطفل يستطيع أن يستنتج نتائج معيّنة بناءً على مقدمات تعطى له، فمثلاً يستطيع طفل السابعة أن يحل مثل هذه المشكلة: محمد يجري أسرع من علي، وأحمد يجري أبطأ من علي، من أكثرهم بطئاً؟ علي أم أحمد أم محمد؟ كما يستطيع طفل الثامنة أن يصل إلى حل مثل هذه القضية: إنني لا أحب الرحلات البحرية، كما لا أحب أن أكون بجوار البحر، فأين أقضي إجازتي في قبرص أو تونس أو المغرب، أمّا طفل التاسعة فيستطيع حل مثل هذه القضية إذا كان ثلاثة أطفال يجلسون في صف واحد (حسام) يجلس على يسار (إيهاب). و(سامح) يجلس على يسار (حسام)، فأى الأطفال يجلس في الوسط؟⁽¹⁹⁾

أمّا بالقدرة على التفكير المجرد Abstract ، أي التفكير في المعاني المجردة فإنها لا تظهر إلا في مرحلة متأخرة، فطفل المرحلة الابتدائية لا يستطيع أن يعرف كلمة ديمقراطية أو إنسانية أو عدالة اجتماعية، ولذلك من الخطأ أن يعتمد على سرد

التعريف اللفظية في تعليم الأطفال، لأنَّ إدراكها فوق مستوى نضجهم العقلي. ولابد من تحاشي عيوب اللفظية في طرق التعليم.

وعليه فالنمو العقلي لا يسير بمعدّل سرعة واحدة في جميع مراحل العمر فقد دأّت التجارب على أنّ هذا النمو يسير ببطء في مرحلة الصغر، ثم يسرع في مرحلة الطفولة المتأخرة، ويستمر كذلك حتى مرحلة المراهقة المبكرة، ثم يتوقف النمو عند الأشخاص العاديين في حوالي سن السادسة عشر، ولكنّه يستمر في التقدّم حتى سن العشرين عند متفوقي الذكاء.

المحور الثاني- كيفية تعليم الأطفال التفلسف وممارسته:

أناقش في هذا المحور تعليم الأطفال في مرحلة قبل الدخول للمدرسة أو ما يسمّى برياض الأطفال، حيث يقول الفيلسوف كانط "لا يمكن أن نتعلم الفلسفة، بل يمكننا أن نتعلم التفلسف"⁽²⁰⁾.

في الطفولة تجد الطفل، بل كل الأطفال لديهم حب الاستطلاع والدهشة الفطرية والتي تجعلهم يخطون الخطوة الأولى في ممارسة الفلسفة والتفكير؛ لأنّ الفلسفة تبدأ من خلال التفكير وطرح الأسئلة الوجودية، ومن خلال الحوار مع الأطراف المحيطين به تصبح منهج عندهم يمارسونه في كل لحظات حياتهم، لكن دائماً نسأل أنفسنا هل الطفل قادر على ممارسة الفلسفة وتعلّمها؟ اعتقد هناك العديد من الإنجازات العلمية المعرفية التي تبيّن قدرات الأطفال الهائلة على التعلم، فليس بالضرورة أن يحاكي الطفل طريقة الكبار في التفكير بالأشياء، فالأطفال يحصلون في مرحلة الروضة يطرحون أفكار أصيلة وجديدة عند مناقشة المواضيع، والمرونة وهي القدرة على التفكير المرن عن القوالب التقليدية هذا فضلاً على الطلاقة وذلك من خلال تعدد الأفكار والبدائل الجديدة، فالحصيلة التي يتحصّل عليها الطفل من خلال ممارسة التفكير الفلسفي لها مردود في حياته، فضلاً على علاقاته الاجتماعية، كما تعمل على تطوير مهارات التواصل مثل فن الإنصات، طرق المحادثة الجيدة، أيضاً دقة الملاحظة، والتخيّل والشك والاستنتاج ثم اصدار حكم، ولكن لماذا يتعلم الأطفال

الفلسفة؟ سؤال طرحه مشروع Matthew Lipman للأطفال، تحقّق هذا المشروع في الثمانينيات وهو أستاذ جامعي رأى طلابه كانوا قادرين على قراءة تاريخ الفلسفة بأكمله عن ظهر قلب، لكنهم لم يتمكّنوا من التفلسف قاده هذا إلى الاعتقاد بأنّه في المدارس يجب أن يبدأ تدريس الفكر وطرح الأسئلة وبالتالي نحصل على إجابات معقولة⁽²¹⁾.

حظيت دعوة هذا الفيلسوف بقبول واسع وتبنتها (اليونسكو) وانتشر برنامجه في العديد من الدول التي تطور نظامها التعليمي مع توجهها نحو التقدّم والدولة المدنية الحديثة لكن للأسف غابت هذه البرامج في الدول الأفريقية والعربية التي تعاني من الاستبداد السياسي جرّاء القيود التي تفرضها الحكومات على الأنظمة التعليمية توجبها حسب مصالحها الضيقة.

ويقوم منهجه على أساليب تعليمية مناسبة تستند لقصته للقصة والحوار والفن والدراما ويمكن أن تطبّق من قبل جميع المعلمين، وهو منهج يركّز على تنمية ثقافة السؤال في المدرسة اعتماداً على أسئلة الأطفال أنفسهم واقتراح موضوعات قصصية تمس حياة الأطفال، وترتبط بواقعهم بموضوعات تحمل موضوعاً جديلاً وخلق أجواء الحرية والدعم للحوار والمناقشة حول تلك القضايا، فبمجرد أن يستمع الطفل إلى القصة ويتعرّف على معلومات وشخصيات جديدة، فهذا يستدعي نقاشاً يطرح خلاله أسئلة، وهو بذلك ينهمك في بحث فلسفي، وبالضرورة فالمناقشة العقلانية هي الوسيلة التي تعزّز يقظة ووعي وفهم الطفل لعالمه، وهو ما سيعينه في تكوين معنى جديد للأشياء، ومعنى جديد لخبراته ويجعله أكثر دقة ومنطقية وانفتاحاً، لكن ذلك منوط بأن يوفّر حد أدنى من المرح للمواضيع المتعلقة بعالم الطفولة، حيث يضع الأطفال الأسئلة على بعض الرسوم أو استعمال الكتب المصوّرة، التي تقدّم من خلالها المفاهيم في سلسلة رسوم مصوّرة تمثل وضعيات تسمح للطفل بالتعبير عن رأيه، أو دهشته أو قبوله لبعض الأفكار مثل حياة جاليلو وإنجازاته، ومبادئه أيضاً قصة كليلة ودمنه فهي تمثل ميثالوجيا، لكن نجد ثقافتنا تقاوم الفلسفة وخصوصاً عندما تزعزع بعض

القناعات، واعتقد حتى في الفكر الأوروبي لم يولد الطفل إلا في القرن الثامن عشر مع المفكر جان جاك روسو ← "اميل وتربيته"، والذي يشترط النضج⁽²²⁾.

كيف يتم تعليم الفلسفة للصغار!؟

الحقيقة هناك العديد من الطرق حيث تمكّن دراستها من خلال وسائط ثقافية كالحكايات والأساطير أو حتى مقتطف من فيلم، بحيث نضع الأطفال مكان أبطال الحكاية وعمّا سيفعلونه مثل (حكاية طاقية الإخفاء) اذا ما امتلكها شخص وأصبح غير مرئي، ونسأل كل طفل عمّا سيفعله، وهذا يسمح بظهور الأسئلة والمعضلات الأخلاقية، ومن هنا يمكن مناقشتها، تقول الأستاذة شيروتي* "هذا يساعد فيما تسميه (هرولة الدماغ) التي تجعله أقوى لأنّه من الصعب أن يتعلم المرء بنفسه كيف يفكر ممّا يستدعي التدريب وهكذا يتعلم"⁽²³⁾.

إنّ الطفل يمكن أن يشارك في الفلسفة بمجرد أن يبدأ بطرح الأسئلة على نفسه، وبمجرد أن يتمكّن من التعبير عن دهشته أمام العالم، وذلك مع نهاية مرحلة روضة الأطفال في سن الرابعة أو الخامسة، عندما يتساءل الأطفال عن الموت والشر والحب والعدالة، دعت الأستاذة شروتي فيها إلى ممارسة هذا التخصص للصغار من أجل تدريبهم على اكتساب عمل نقدي، فالأطفال يتمتعون بقدرة كبيرة على طرح أسئلة فلسفية من أمثلة "لماذا نحن على الأرض؟" و"أين كنا قبل أن نولد؟" وما الهدف من الحروب؟" ومع ذلك لا يتم تدريس الفلسفة - في الغالب - إلا في السنة الأخيرة من التعليم الثانوي رغم أهمية توجيه الأطفال في تفكيرهم منذ سن مبكرة.

وبما أنّ الفلسفة لا توجد فيها إجابة أحادية يجد الأطفال أنّ عليهم أن يتقبّلوا ضعفهم، وأنّه لا بأس بعدم المعرفة والشك والاختلاف، فأندتها حسب وجهة نظر شيروتي فأندتها في تعلم الأطفال التواضع في مواجهة الأسئلة الكبرى مثل العدالة والحقيقة، كما تمنحهم احترام الذات وتظهر لهم أنّهم قادرون على التفكير بأنفسهم وأنّ لديهم الحق في طرح أسئلة حول العالم بغض النظر عن أعمارهم⁽²⁴⁾.

أمّا عن بيتر وورلي مدير مؤسسة الفلسفة البريطانية فهو يستخدم قصص الأطفال كأمثلة معتادة في دروس الفلسفة فالأسئلة "هل الجمال في عين الرائي موضوعي أو ذاتي؟ وهل الحياة تستحق العيش فيها؟ وهل يجب على القائد إخفاء الحقيقة لإنقاذ الأرواح؟ تعد شائعة في دروس الفلسفة وقصص الأطفال على حد سواء وتفتح القصص المزيد من الخيالات وتثير نقاط التوتر وتساعد على التفكير في البدائل المتاحة.

وهكذا تبدوا أسئلة الأطفال البريئة ودهشتهم الفضولية كمادة فلسفية دسمة يحاول الفلاسفة تقديم إجابات عنها في حين يسائل الأطفال الحياة فلسفياً ببساطة واستمرار وكانهم فلاسفة هذا العصر وكل العصور.

بناءً على هذا الاعتقاد، ابتكر ليبمان سلسلة من حكايات فلسفية للأطفال بين 11 إلى 12 عاماً، كان الهدف منها تعليمهم أن يكونوا ناقدين، وتحفيزهم على طرح الأسئلة على أنفسهم ومحاولة الإجابة عليها، وصلت الكتب إلى مدارس عامة مختلفة ودرس الفيلسوف لمدة عام تأثير تلك القراءات على الأطفال⁽²⁵⁾، ماذا كانت نتائج ماثيو ليبمان؟

لاحظ ليبمان أن فوائد الفلسفة انعكست في جميع مجالات المعرفة، والسبب في كلماته هو أن الفلسفة هي النظام الذي يثير أسئلة عامة يمكن أن تكون بمثابة مقدمة للتخصصات الأخرى. إذ تمكّن البروفسور ليبمان من إثبات أهمية الفلسفة منذ الطفولة ومشروعه موجود اليوم في 40 دولة، حالياً يواصل مؤلفون آخرون، مثل [جوردي نومن أستاذ الفلسفة ومؤلف كتاب [الطفل الفيلسوف] العمل في هذا السياق يؤكد المساهمة في الصالح العام تتطلب أن نكون قادرين على التفكير بشكل واضح وإبداعي وفلسفي، وهذا الشيء يتم تعلمه في سن المدرسة أو لا يتم تعلمه⁽²⁶⁾.

فوائد تعليم الأطفال التفلسف:**الفلسفة تعلم الأطفال الآتي:**

- 1- أن يفكروا بأنفسهم منذ الصغر وتعزيز استقلاليتهم وتزويدهم بالأدوات حتى لا يفكر بها أحد، أقصد بها كل المواد التعليمية التي تمكن الطفل من الانخراط في الحوار والمناقشة والتفكير، والتعبير عن الذات، ومقارنة وجهات النظر بوجهات الآخرين من خلال قصة معينة.
- 2- هناك عدد من جوانب الفلسفة التي هي أساس لمواضيع أخرى تعلمك الفلسفة طرح الأسئلة والتحقيق وصياغة الفرضيات واستخلاص النتائج.
- 3- يطور القدرة على التشكك في صحة الحقائق والبيانات، كما أنه يؤيد آليات الجدل.
- 4- في الفلسفة لا يعاقب الخطأ، بل هو مصدر للتعلم عند ارتكاب الأخطاء، يفكر الأطفال في سبب عدم صحة شيء ما، ويبحثون عن حلول لتعديله، هذا له قيمة تعليمية مهمة للغاية ويسمح بزيادة ثقة الأطفال بأنفسهم.
- 5- التفلسف يحسن المفردات والكتابة، والتعبير عن الأفكار يتيح لنا لاستفسار عن من نحن ويقوي الذكاء العاطفي بمعرفة نفسك بشكل أفضل⁽²⁷⁾.

كيف نتفلسف كعائلة؟ حديثي موجّه إلى الآباء والأمهات:

تعليم أطفالك الفلسفة ليس معقداً كما يبدو، عليك فقط السماح بتدفق الفضول الطبيعي لأطفالك ولاستفادة منها لتحويلها إلى أداة تفكير، من المهم أن نتعلم تحدث قليلاً واستمع كثيراً دع أطفالك. يطرحون عليك أسئلة، لكن لا تعطي إجابة مغلقة بدلاً من ذلك، أسأل ما هو رأيك؟ أداة أخرى هي أن تسأل أطفالك أسئلة تحث على التفكير، هناك فرق كبير بين طرح سؤال مغلق مثل "ماذا أكلت في المدرسة اليوم؟" لصياغة واحدة مفتوحة مثل: هل يمكن للكلب أن يضحك؟

الأسئلة المفتوحة، سواء تم طرحها من قبل الآباء أو من قبل الأطفال أنفسهم، هي طريقة للبدء في الفلسفة وتعلم التفكير، والتفكر، يجب أن يتعلم الأطفال ليس كل

الأسئلة لها إجابة، الشيء الطبيعي هو أنهم عندما يسألون يبحثون عن إجابة آمنة من الكبار، ولكن من الضروري تعليمهم بأنه في بعض الأحيان لا توجد إجابة لهذه الأسئلة أو أنه يجب عليهم العثور عليها لأنفسهم، نستخدم في سبيل ذلك أدوات مثل الفن أو العاب أو القصص، فعلى سبيل المثال من خلال الفن - يمكن دعوة الأطفال وصف ما يرونه وما ينقله العمل إليهم أو ما يمكن أيضاً تشجيعهم على إنشاء أعمالهم الخاصة بناءً على خيالهم وأفكارهم.

الكثير من القصص/هي أداة قوية للتفلسف لماذا تعتقد أنّ الشخصية الرئيسية تصرفت على هذا النحو؟ هل تعتقد أنّ كان بإمكانها القيام بذلك بشكل مختلف؟ كيف كنت ستصرف؟ يمكننا حتى تغيير القصص مثل القصة الشهيرة ليلي والذئب المثيرة حيث يتم تقديم الذئب على أنه ضحية وليس هو المعتدي، وهو ما يمكن أن يساعدنا في التفكير مع أطفالنا فيما إذا كان يجب علينا دائماً الالتزام بالإصدارات التي نخبروننا بها، أو يجب أن نكون نقديين ونفكر في ردود بديلة أخرى، الألعاب هي مصدر أساسي للتعلم، نلعب الألعاب التي نستمتع بها، نتعلم ونطور مهارات وقدرات مختلفة، حتى يتعلم الأطفال التفلسف نختار الألعاب التي تجعلهم يفكرون ونطرح الأسئلة والمناقشة والجدل والاستماع، من أجل التطوير والإبداع⁽²⁸⁾.

هل يمكن إضافة الفلسفة إلى المواد التي يدرسها الطالب (الرياضيات، والعلوم والتاريخ والأدب) وهل يمكن إضافة مساحة من الوقت من الأخذ والرد في النقاش الفلسفي، الحقيقة قد يبدو الموضوع غير مألوف لدى العديد من المعلمين لأنهم يخشون الفلسفة وتساؤلاتها المستمرة تؤثر على الطلاب وأنهم لا يثقون في إجاباتهم الخاصة بهم عن الأسئلة المثارة وخصوصاً أنّ المعلمين مطالبين ببيان أنّ طلابهم يحققون مستويات مرضية من الأداء في المواد النموذجية من خلال الاختبارات المتميزة بأسئلة وأجوبة قطعية غير مبهمة لا تضع جائزة على التأمل الفلسفي.

وعليه إذا قلنا لا بد من إدخال الفلسفة إلى المدارس، ماهي الطرق التي يمكن أن نعزز بها هذه التجربة التعليمية والهدف من ذلك إدخال الفلسفة إلى المنهج في دعوة

للطلاب للتأمل في العلاقات التي تبين مجالات الاستفسار المختلفة، وفهم تجاربهم التعليمية والتي يمكن للفلسفة أن تضيف إلى المغزى من تعليم الطلاب ككل، بالإضافة إلى ذلك فالفلسفة يمكن أن تقدم إسهاماً مهماً في مجال آخر ذي اهتمام يمر عبر المنهج ألا وهو التفكير الناقد.

ومن المشاهد أن هذه الأسئلة تزول كلما كبر الأطفال ولا تبقى آخر الأمر إلا عند الفلاسفة وسبب زوالها أمران:

"الأول: التأثر بالمجتمع، فالطفل كلما تقدّم سناً أصبح أكثر اندماجاً في تقاليد المجتمع ومعتقداته، ويجد في مجتمعه أجوبة جاهزة على أسئلته بعضها ديني وبعضها غير ديني 'مما يميّت فيه نزعته الطبيعية للتفلسف، ولا يفلسف إلا من تحرر من سجن المجتمع.

الثاني: أن الإنسان كلما تقدم سناً خضع أكثر فأكثر إلى ضرورات العمل للعيش، وهذا ممّا يصرفه عن النظر المجرد وتأمل الأسئلة الفلسفية ومن يتحرّر من ضرورات العيش يفلسف"⁽²⁹⁾.

والواقع كما قلنا أن استقلال الفيلسوف عن كل المؤشرات اجتماعية كانت أم معيشية أم غير ذلك، سمة من سماته الأساسية، من جهة أخرى لا توجد الفلسفة التلقائية عند الأطفال وحدهم، بل توجد أيضاً كما يقول كارل ياسبرز عند بعض مرضى العقول، فعندما تسقط عن هؤلاء، حجب المجتمع تبرز أحياناً من أفواههم حقائق ميتافيزيقية تارة قد لا تقبل صياغة معقولة إلا في أندر الأحوال، لكننا لا نجد بالطبع عند هؤلاء الصغار والمجانين الأصالة الخلّقة والبصيرة النافذة التي نلمسها في الأفكار الفلسفية العظيمة.

وليس الأطفال وبعض مرضى العقول هم وحدهم الذين يثيرون تلقائياً قضايا الفلسفة، بل إن الإنسان العادي في حياته اليومية يعتقد أنه أهل لأن يبدي رأياً أو أن يذهب إلى حكمة، أي يفلسف، لأنه يعتقد أن تجاربه وعقله ومسئوليّاته وخلقه كلها

كفيلة بأن تزوّده بآراء فلسفية ناضجة، وذلك بخلاق موقفه من مسائل العلم، فهو يمتنع عن إبداء رأي فيها ويتركها لذويها⁽³⁰⁾.

فيقول أبيقور: "عندما تكون صبيياً لا تتردد في التفلسف، وعندما تكون كهلاً فلا تزهد في التفلسف.. فمن يقل بأن الوقت مبكّر للتفلسف أو متأخر فأئنه يشبه من يقول بأنه مبكّر أو متأخر لكي يكون سعيداً⁽³¹⁾.

قد يكون نتيجة للإرث الثقافي لنظريات بياجيه وعلم نفس النمو التي تشرح لنا من هو الطفل؟ وما الذي يقدر عليه؟ حيث لا توجد هناك فكرة واسعة الانتشار ومقبولة تنتمي لعلم نفس النمو تتحدث عن قدرة طفل ما قبل المدرسة على التجريد والتفلسف، وقد يعود ذلك للاعتقاد السائد أنّ التساؤل الفلسفي والحوار المفاهيمي نموذج إدراكي عابر في مسار تطور الطفل الطبيعي وعلم نفس النمو بطبيعة الحال يهتم بشكل أساسي بصناعة المعايير العامة للطفل الطبيعي، ولا يلتفت للاستثناءات، لذلك فهو يتجاهل قدرة التفلسف عند الطفل حتى على المستوى البحثي.

- ولأنّ الفلسفة عند الطفل ألعوبة تأخذ طابع المرح الذهني ولها سمات التحليل الإدراكي وهو ما لا يمكن قياسه بطرق البحث الاعتيادية والقياس المعياري الكمي عند باحث تطور الادراك، ولهذا من وجهة نظر بياجيه إذا لم تحتوى القصة التي يرويها بياجيه عن الطفولة على أي تصور لقدرة الطفل على التساؤل الفلسفي، فالقدرة ستظل في طي المسكوت عنه، ولن تجد أي صدى أو تجاوب عند المعلم التقليدي أو الوالدين اللذين ينقبان عن الأفضل لأطفالهم وهذا مؤسف⁽³²⁾.

من الأوهام الراسخة في الأذهان، وخاصة الذهنية العربية أنّ الفلسفة تخصص لا يتلاءم مع المراحل السنية والتعليمية المبكرة وهذا الوهم له أسباب متعدّدة منها الخوف القائم عند البعض من التفلسف والعقلانية بشكل عام، ومنها سيطرة الجانب التقني على التعليم، فالطالب يحفظ النصوص الشعرية والنثرية كما يحفظ النصوص الدينية، إنّ تنمية ملكة الحفظ دائماً ما يكون على حساب الملكات الفكرية الأخرى كالتحليل والنقد والفهم والتخيل والإبداع والقدرة على التفكير المغاير والمختلف، ولاشك

أنَّ من نتائج نمط التعليم التقليدي القائم على الذاكرة أنَّه يؤدي إلى نتائج عقلية نمطية وتكرارية وماضوية وأحادية ولفظية، غير قادرة على التخيل أو الرفض أو التمرد بكلمة واحدة تؤدي إلى خلق إنسان مروض ومهياً لقبول سلطة الآخر دون مناقشة أو احتجاج⁽³³⁾.

ومن الأوهام الشائعة في ثقافتنا العربية، الاستهانة بعقلية الطفل واعتباره قاصراً والنظر إليه على أنَّه غير كامل الأهلية، وأنَّه غير مدرك للمسؤولية. هذه النظرة لم تكن وليدة الأديان في المقام الأول، بل جاءت إلينا وانتقلت من الثقافة اليونانية التي كانت تنظر إلى المرأة والطفل على أنَّهما قاصرين، إنَّ هذا الفهم الرجعي لعالم الطفل والنظر إليه بوصفه كائناً مبسّراً هو المسؤول الأكبر عن حرمان أطفال مراحل رياض الأطفال والمراحل الابتدائية والإعدادية من الاستفادة من تدريس الفلسفة ولهذا نؤكد على مدى أهمية تدريس الفلسفة للأطفال تمهيداً لخلق وعي تنويري عقلائي لدى الإنسان العربي المعاصر.

هناك أوجه شبه كبيرة بين عالم الطفل وعالم الفيلسوف، فالفلسفة هي في حقيقتها تساؤل لا ينتهي حول معضلة الوجود، وربما كانت أهم وظيفة للفلسفة هي طرح الأسئلة والفيلسوف هو ذلك الكائن الذي لا يكف عن إثارة الأسئلة، وليس مهماً في الفلسفة الأجوبة أو الحلول ولكن المهم هو السؤال، خاصة السؤال (لماذا)⁽³⁴⁾.

وإذا كان الفيلسوف هو ذلك الكائن الذي يبعث القلق والتوتر فيمن حوله، فالطفل أيضاً يفعل ذلك ولا يتردد في أن يطرح الأسئلة تلو الأخرى حول من يحيطون به: من أين جئنا، وإلى أين سنذهب، ولماذا نحيا؟ من هو الله وماهيته وما طبيعته؟ ولماذا خلق هذا العالم؟ ما الموت وما جدوى الحياة؟، أين نذهب بعد الموت؟ وأين ذهب الذين رحلوا عنا؟ ولماذا نموت؟... الخ هذه الأسئلة محيرة يتردد الكبار في الإجابة عنها أو في أفضل الأحوال يجاوبون عنها إجابات لا تسمن من جوع.

ومن الملاحظات الجديدة بالذكر أنَّ كلاً من الطفل والفيلسوف يؤسسان موقفهما الأبستمولوجي من العالم من خلال الدهشة والدهشة، في معناها البسيط هي أن ترى

الأشياء وكأنك تراها لأول مرة، هذه الحالة المعرفية هي المشترك الذهني بين الطفل والفيلسوف، فالعالم الذي ينتمي إليه الفيلسوف والطفل هو عالم البراءة والحرية والتلقائية، وكما يكون الفيلسوف مبدعاً وخلقاً فلا بد له من أن يحتفظ بهذا الطفل المشاكس بداخله، ولا بد له من أن يصون هذا الطفل من خطر أن يصبح ناضجاً فتصيبه البلادة الفكرية والشيخوخة العقلية، لذلك فـ"الطفل الفيلسوف وشيطان الطفل كلاهما يرفض الخضوع والركوع للسلطان المعتاد والمألوف والمعروف. ولقد صدق هيجل حينما قال: كل ما هو مألوف مجهول لا شيء سوى لأنه مألوف، إذن هي الدهشة، هي هذا المحرك السحري لشيطان الفكر، أو بحسب ما قال أرسطو في عبارته الشهيرة: "إنَّ الدهشة هي الأم التي أنجبت لنا الفلسفة"⁽³⁵⁾.

ويؤكد زكريا إبراهيم على هذا الاقتران الوجودي بين دهشة الطفل ودهشة الفيلسوف، فيقول: "ومن هنا فقد اقترنت الروح الفلسفية بأداة الاستفهام الكبرى (لماذا)؟ حتى لقد شبَّه بعضهم الفيلسوف بالطفل الصغير الذي لا يكاد يكف عن إثارة السؤال تلو السؤال، ولا غرو، فالفيلسوف يصر على أنه لا يرى سوى ظلمات، حيث لا يرى غيره سوى أضواء! ويأبى الناس إلا أن يروا في الوجود كتاباً مفتوحاً يفسر نفسه بنفسه، في حين يحلو للفيلسوف أن يصوِّر لنا الوجود بصورة النقوش الهيروغليفية التي تتطلب التفسير أو الشفرات الغامضة التي تحتاج دائماً إلى من يفك رموزها"⁽³⁶⁾. "إنَّ الاندهاش يدفع بالإنسان إلى المعرفة، فحين اندهش أشعر بجهلي، ومن ثم أبحث عن الإجابات، فالتفلسف بهذا المعنى يرتبط باليقظة، والرغبة في الإفلات من روابط الضرورة اليومية بحثاً عن عالم الحرية، والفيلسوف أو الطفل حين يتساءل: ما هذا ولماذا؟ ومن أين جاء هذا؟ فهو لا ينتظر الإجابة عن الأسئلة من أجل فائدة عملية فحسب بل إنَّه يريد أن يشبع نهمه الذي لا يشبع للمعرفة"⁽³⁷⁾.

وكلما قلَّ حظ الإنسان من الذكاء كلما كان أقلَّ اندهاشاً. ومن ثم يبدو له الوجود واضحاً، ومألوفاً ومعتاداً، فالدهشة ضد الألفة وضد ما يسود الحياة اليومية من إحساس بالتكيف والامتثال والمواءمة، ولذلك فشرط الإبداع الفلسفة هو الدخول في

صراع مع ما هو سائد من أفكار جاهزة وتقاليد قديمة وراسخة وإلى هذا المعنى يذهب مطاع صفدي، فيقول: "إن مجرد كون القول أو السلوك متعارفاً عليه، ومقبول بدون تردد، لا يجعله يمتلك صيغته النهائية إن وضع ظواهر الحياة العامة واليومية موضع الاستفهام قد يكسر مرجعيتها الهشة مثلاً.

فالعادة برغم فاعليتها غير القابلة للتجاهل، وقدرتها على تحويل العابر إلى دائم، والعارض إلى أصيل، والجزئي إلى الكل والتصرف الفردي إلى ما يشبه القاعدة للآخرين، رغم هذه الفاعلية الشاملة التي قد ترجع إليها صناعة القواعد والنظم في الواقع قبل أن تنص عليها التشريعات... إلا أنها في حد ذاتها لا تصلح أن تؤسس علماً سليماً للوقائع، ولا أخلاقاً عقلانية وبالتالي فإنها تشكل النقيض الأول لحكمة... فالحكمة والعادة نقيضان على صعيد الواقع، قبل أن يكونا كذلك على صعيد التحليل والمقاربة المنطقية⁽³⁸⁾.

والسؤال الذي يطرح نفسه ماهي الأهداف المرجوة من تدريس الفلسفة للأطفال؟

1- من أهم الدروس التي يتعلمها الأطفال من تلقى المعرفة الفلسفية القدرة على التفكير الناقد، وهذه القدرة ترتبط بطبيعة التفكير الفلسفي ذاته، فتاريخ الفلسفة هو تاريخ نقد الأفكار ونقد الواقع معاً، وهذا ما جعل فيلسوفاً معاصراً مثل الفيلسوف الأمريكي: (روبس) يقول: بأن "المرء يتفلسف حينما يفكر تفكيراً نقدياً في كل ما هو بصدده عمله بالفعل في هذا العالم. حقاً إن ما يعمله الإنسان أولاً وقبل كل شيء إنما هو أن يحيا والحياة تتطوي على أهواء، وعقائد، وشكوك وشجاعة ولكن البحث النقدي في كل هذه الأمور إنما هو الفلسفة بعينها"⁽³⁹⁾.

إن الفلسفة تعلمنا أن ليس ثمة شيء يمكن اعتباره بئناً بذاته، وأن ليس هناك أمر يمكن القول بأنه حقيقة مؤكدة لا يأنيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، بل كل ما في الوجود جدير بأن يكون موضع شك ومحل نقد وعلى حين نجد أن الرجل العادي يميل بطبعه إلى قمع حبه للاستطلاع وكبت رغبته في التساؤل نجد أن

التفكير الفلسفي لا يمل من إيقاظ المشكلات النائمة وإثارة الأسئلة الساكنة وتحريك العقول الغارقة في صمتها وسكونها وخمولها⁽⁴⁰⁾.

2- تحقيق الوصال الإنساني: يستخدم زكريا إبراهيم في ترجمته لكلمة التواصل Communication اصطلاحاً خاصاً به وهو (الوصال) وهي كلمة ذات أبعاد وجدانية وعاطفية، لكنّها تقي بالغرض الذي نريده من حيث أنّ الفلسفة كفكر عقلي حر هي الوسيلة المثلى للتقارب والتآخي بين البشر، يقول في مقدمة كتابه "حقاً أنّ الفيلسوف على ثقة تامة من أنّ المساومة بالحقيقة ماهي إلا خيانة لها، ولكنّه مع ذلك مستعد دائماً لتحقيق ضرب من "الوصال" بينه وبين الآخرين... وليس الحوار الفلسفي سوى هذا الوصال الفكري الذي يتم بين شخصيات حية يتفحّ بعضها للبعض الآخر ويحترم كل منها حقيقة الآخر"⁽⁴¹⁾.

بعبارة أخرى فالفلسفة هي تحقيق لهذه المعادلة الصعبة: التقرّد والوصال، فالفيلسوف عليه أن يكون متقرّداً ومستقلاً إلى أقصى مدى، لكن في نفس الوقت ينشد الحوار والجدال والوصال.

إنّ الحقيقة كما يذهب كارل ياسبرز، (1883-1969) ليست ملكاً لأحد، وإنّما البشر جميعهم ملأك الحقيقة، أو إنّ شئنا الدقة هم الذين يبغون الحقيقة، فالفيلسوف بهذا المعنى يعلم جيداً أنّه في خدمة الحقيقة وأنّه لا يملكها وحده وإنّما هو مجرد مشارك بها أو شاهد عليها، لكنّه لا يطمع أبداً في امتلاكها واغتصابها⁽⁴²⁾.

إنّ الدرس الذي تعلّمه الفلسفة للأطفال والراشدين معاً هو أنّ الأسلوب الإنساني الملائم للوصال بين البشر هو الحوارية، ولقد كان الآباء القدامى للفلسفة سقراط وفلاسفة الحركة السفسطائية وأفلاطون وأرسطو - يتخذون من الحوار أسلوباً للتفلسف، وأسلوباً للحياة وللتواصل مع الآخرين وللتأكيد على أهمية الحوار كقيمة أخلاقية وتربوية يقول: حسن حماد في كتابه: (دوائر التحريم) "إذا أردنا أن نفتش عن قيمة الحوارية وشروطها فنأدرأ ما نجد في قراءة التاريخ، ولكن يمكننا أن نعثر عليها في كتب الأدب وفي رؤى وأحلام الفلاسفة ولذلك فعن الحوارية لا بد وأن يجد نفسه

مسوقاً بشكل لا إرادي في اتجاهين أساسيين هما: الفلسفة وإبداعات الأدب والفن ويمكن لنا النظر إلى هذين الاتجاهين بوصفهما اتجاهاً واحداً، خاصة وأن كليهما يمثّل رؤية خاصة للعالم والوجود... ولهذا يجب أن نعتزف منذ البداية بأنّ الحديث عن الحوارية لا بد أن يحتمي بقيم الحداثة والتسامح والعقلانية والحرية، بل قد يتطلّب الأمر قيماً أخرى مثل الحب والزهد والعدالة والتقدير⁽⁴³⁾.

3- الحرية: من القيم المهمة التي نستمدّها من دراسة الفلسفة درس الحرية، والحرية هي شرط التفكير المستقل وشرط التفكير الإبداعي أو التفكير الخلاق، كما أنّ الاعتياد على حرية الفكر هو مقدمة ضرورية للتحرُّر بمعناه السياسي والاجتماعي ولذلك عادة ما تغيب الفلسفة عن المجتمعات التي يسودها القمع والإرهاب الفكري، ولعل ظاهرة اختفاء الفلاسفة من واقع الثقافة العربية وانحسار الإبداع الفلسفي دون الاعتراف بأنّ الحق فوق القوة وأنّ العلاقات الإنسانية السوية لا بد وأن تقوم على التقاهم والتسامح لا على التخاصم والتعصب⁽⁴⁴⁾.

وقد أكد معظم الفلاسفة خاصة في العصور الحديثة على أهمية قيمة الحرية ودعوا إليها في كل المناسبات والمواقف فما هو سبينوزا(1632-1677) يرى أنّ كل إنسان له الحق الطبيعي أن يستخدم عقله بحرية، وأن يحكم على كل الأشياء، وألا يملك أي إنسان الحق في أن يحدد للآخرين ما يجب أن يسمح به كحق أو كزيف، ويجب أن تقتزن الحرية الكاملة للتعبير عن الرأي والحكم بحرية الكلام وعلينا في كل الحالات أن ندافع عن رأينا بالعقل، وبالعقل وحده، وليس بالخدعة أو الغضب أو العنف⁽⁴⁵⁾.

وعليه فمن المهم الإجابة عن أسئلة الأطفال، فهناك العديد من الأخطاء ينبغي على الوالدين تفاديها من وجهة نظري منها اعتبار أسئلة الطفل أسئلة غريبة وطريقة تعامل الأهل أو الوالدين مع هذه الأسئلة تعاملاً سلبياً، أيضاً كثير من الأهل يتهربون من الرد على تلك الأسئلة مما ينزع الثقة من الطفل تجاه والديه مما يجعل الوالد قد يبحث على البدائل للحصول على المعلومات، قمع الطفل وإسكاته بالعنف قد يولد

لدى الطفل إمّا انطواءً وضعفاً في الشخصية وإمّا عناداً حاداً وعدوانية. فضلاً على ذلك إظهار التلعثم والحرص أثناء الإجابة عن أسئلة الطفل، الأمر الذي يخلق انطباعاً سيئاً في نفسية الطفل حول أسئلته والمواضيع التي تدور حولها والمهم كيفية الرد على هذه الأسئلة!

حب الاستطلاع من أهم سمات طفل ما قبل المدرسة، الطفل مرآة المجتمع، تعبير صادق عن تطوره، تقليد أعمى لكل ما تقع عليه عيناه، وما بين التقليد والتفكير تظهر آلاف الأسئلة، وفي سنوات الطفولة يتمتع الطفل بخيال واسع يختلط فيه الواقع بالخيال فتبدوا أسئلة ساذجة ولكنها في الحقيقة أسئلة مهمة وعلى أساسها يتكوّن عقل الطفل، ومن خلال طريقة الإجابة عن هذه الأسئلة يتحدّد مستقبل هذا العقل⁽⁴⁶⁾.
وعليه نجد أسئلة أطفال الستينيات والسبعينيات وما قبلها تختلف كلياً عن أسئلة أطفال التكنولوجيا والفضائيات أو بمعنى أصح الإنترنت، والغريب السؤال المعتاد والمتكرر هو ماما من أين جننا؟

وقد سمعت العديد من الأمهات عن قرب يرددون لقد قمنا بشرائك من السوق (السوبرماركت) ولا تعرف أنّ سنه سن التفكير وطرح الأسئلة وحتى عندما تحكي للطفل قصة ففي عالمه لا توجد مسلمات وبيدهيات وإنما يدور في رأسه تلك الأسئلة الفلسفية من خلال أدواتها: لماذا، وكيف، وماذا بعد؟

هذا فضلاً عما يضيف عليها من خياله، الأمر الذي يجعلك تنسى القصة الحقيقية وعليه هناك العديد من الأسئلة التي تدور في عقل الطفل كيف يعذب الله الشيطان في النار وهو مخلوق من النار؟ كيف تطير الطائرة وكيف يطير العصفور في السماء؟ كيف يدخل الناس التلفزيون وهو صغير الحجم؟

كما عند الإجابة على أسئلة الطفل لا بد من الحذر والانتباه إلى أنّ المرحلة التي يمرُّ بها الطفل بها خصائص تميزها عن المرحلة التي بعدها كذلك درجة ذكاء الطفل وعدم الاستهانة به واعتباره ثرثاراً، فمن حقه معرفة ما يدور حوله وذلك لرغبته في الاستطلاع والاكتشاف والفهم أيضاً، فالطفل أكثر ميلاً لتعلم التفلسف من تعلم الفلسفة

ذاتها وذلك من خلال طريقته المتلى لبناء الحس الفلسفي النقدي والحجائي عند الأطفال وهي الطريقة التي تمكن الطفل من التفلسف عبر طرح أسئلة وجودية تعبر عن تمرسه في عملية التفلسف والتأمل الفلسفي.

"ويمكن من خلال الممارسات التربوية التي تستدعي حضور الفلسفة قد تطورت منذ زمن بعيد ضمن النظم التربوية دون الرجوع إلى الحقب القديمة، عندما كان الفلاسفة ينشئون مدارسهم الخاصة بأتباعهم (الأكاديمية، الحديقة، الرواق...) أو في العصر الوسيط، عندما كانت الفلسفة (خادمة للاهوت)، وأسهمت في ازدياد حدة (النقاشات) بين الأتباع الأقل، والأكثر تفوقاً، كانت الفلسفة في العصر الحديث بأوروبا تدرس في المدارس الدينية قبل دخولها إلى الجامعة، في الحقبة المعاصرة، أصبحت تخصص يدرس باستثناء بعض الدول الأنجلو سكسونية، ضمن مرحلة التعليم الثانوي في كثير من البلدان، فالأمر الذي نرصده في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن العشرين، مقارنة مع تقليد تدريس الفلسفة هو ظهور محاولات أولى لتعليم التفلسف للأطفال طبعاً، الفكرة ليست فريدة من نوعها. " لكن ما حققته يعد نقلة نوعية في مجال تدريس الفلسفة"⁽⁴⁷⁾.

تجدد الإشارة إلى كون طبيعة الأعمال الرائدة للفيلسوف الأمريكي (ماثيو ليبمان) الذي كتب ست روايات موجهة نحو الأطفال من سن ست سنوات إلى ثمانية عشر سنة، الأمر الذي جعله يضع طريقة ووسائل دياكتيكية خاصة، وتستخدم هذه الطريقة والوسائل في الكثير من البلدان بعد ترجمتها وتبنيها ، إلا أن السؤال المطروح حول استمالة التفلسف أو تعلم التفلسف قبل الأقسام النهائية للمرحلة الثانوية رغم الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل تضمنت في (المادة 12) حق التعبير عن الآراء بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل وحرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها دون أي اعتبار للحدود (المادة 13)⁽⁴⁸⁾

وما يهم هنا هو وضع الأطفال في نظر الفلسفة أو بالأحرى المواقف الفلسفية حول تعلم التفلسف حسب السن نظراً لكون هذه الممارسات الفلسفية ذات الطابع

الفلسفي" تسعى لأن تتماشى مع الأطفال والمراهقين، من المرحلة التمهيديّة المتوسطة إلى المرحلة الثالثة المتوسطة ضمن التعليم الأولي، وأكثر من ذلك زيادة عن بعض المفارقات الخاصة، يتعلق الأمر بالتجريد الذي تتسم به المادة مع المتعلمين الذين يواجهون صعوبات، كما هو الشأن بالمدارس الابتدائية في المناطق (الحساسة) أو يعانون من الفشل كما هو الحال العديد من الأقسام الإعدادية إنَّ الفلاسفة لا يتفوقون فيما بينهم حول إمكانية ممارسة الفلسفة مع الأطفال، على سبيل المثال، يدعم السفسطائي (كاليكليس Callicles) فكرة أنَّه ليس من السابق لأوانه البدء بالتفلسف، بينما أفلاطون من خلال سقراط، يعتبر أنه لا يمكن للمرء أن يتفلسف في مرحلة الطفولة "عندما ينهون عامهم الثلاثين، سوف يُعين مجموعة الشباب سبق اختيارهم من أجل... والبرهنة عبر الجدل عن أولئك دون مساعدة عينية أو كيفما كانت - القادرين وحدهم على بلوغ الوجود نفسه عبر القوة الوحيدة للحقيقة بعد سقراط، يأتي الحوار حول الصداقة مع ليسيس (Lysi) شاب مراهق يلتقيه في حلبة للمصارعة، أو مع الشاب العبد (مينون) Menon"⁽⁴⁹⁾.

يقول أبيقور: "في شبابه، لا أحد يتردد في الانخراط في الفلسفة... لأنه لا أحد ينخرط في وقت مبكر أو متأخر جداً من عمره في نشاط يوفر صحة الروح. إنَّ النشاط الفلسفي يفرض على أي شاب كما على أي كهل الشباب - وأي سن للشباب؟ هو مرحلة أو باختصار هو توقع الحياة؟"⁽⁵⁰⁾.

مونتين كان أكثر تدقيقاً حيث يرى أنَّ إبعاد الفلسفة عن الأطفال كان خطأً كبيراً. الفلسفة تعلمنا أن نعيش، والطفولة درس في حد ذاتها، كما باقي المراحل العمرية، فلماذا لا نتواصل معها؟ فالطفل قادر من خلال مربيته بشكل أفضل على تعلم القراءة أو الكتابة.

والحقيقة لا يمكننا سوى أن نذهل أمام نضج أسئلة الأطفال حول المواضيع الحساسة، مثل تلك الأسئلة التي تنبثق عن سن 3-4 سنوات⁽⁵¹⁾ كما يقول كارل ياسبرز ضمن كتابه (مدخل إلى الفلسفة) الذي يشير فيه إلى أنَّ "العلاقة فارقة أن يجد

الإنسان في نفسه مصدر للتفكير الفلسفي: إنَّها أسئلة الأطفال، كثيراً ما نسمع من أفواههم كلمات تصب مباشرة في الأعماق الفلسفية... غالباً ما يملكون نوعاً من العبقرية يفقدونها حينما يصبحون مراهقين»⁽⁵²⁾.

الخاتمة:

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ الهدف والغاية من تعليم الفلسفة للأطفال:

1. يتعلم الطفل من خلال الفلسفة الجرأة على التفكير وعدم الخوف من الاعتماد على الذات؛ لأنَّه يصبح داعياً لأهداف تعليمها؛ كذلك وسيلة الربط بين مختلف المعارف المعلمة وحياة المتعلم هي شكل منظم لمختلف المفاهيم التي يكون قد بناها في كل معرفة سواء كان على مستوى الروضة أو المدرسة لتصبح مكونات لسلوكه، وبما أنَّ الإنسان كائن أخلاقي فمن علامات الأخلاق السلوك المضبوط بالقواعد؛ لأنَّه ثمة تقنيات تتعلَّق بطرق طرح الأسئلة والمشاركة في المناقشات لا يستطيع إتقانها من غير تدخل المدرس أو المدرسة؛ لأنَّه في سن مبكرة جداً لا يكفي لتعليم التفكير والانتظار إلى نهاية الثانوية، وعليه السنوات الأولى من عمر الطفل حاسمة، وخلالها تبني شخصيته مدى الحياة، هي المرحلة الحاسمة التي يتعلم فيها الإصغاء، وبعض قواعد الحجاج وأساليب النقد، وتتأصل لديه قيم التعاون والحرية، العدالة، والمساواة، وقبول الآخر حيث تنشأ الصداقات الأولى، كل هذا لا يتوفر إلا إذا عاش الطفل في بيئة تؤمن له أمرين أساسيين هما الأمان والحرية.

2. تساعد الفلسفة الطفل على طرح الأسئلة ومساعدة الوالدين على الإجابة بطريقة صحيحة ومنطقية وذلك من خلال النقاش المفتوح مع الصغار وإلقاء الأسئلة عليهم وتلقيها منهم هو أفضل وسيلة لانضاج المفاهيم الأساسية وترسيخها في عقولهم.

3. كما يمكن تعلم التفلسف عبر الأنشطة الشفهية وضمن التفاعلات الاجتماعية اللفظية وليس عبر القراءة أو الكتابة فقط ولا سيما أنَّ المناقشة يمكن أن تكون مكوّن فلسفي وليست مجرد نسيج من الآراء على شاكلة المقاهي الشعبية، كما أنَّ هناك أساليب متعدّدة تجعل من تدريس الفلسفة للأطفال أمراً ممكناً منها مسرحة المناهج

الفلسفية، ومنها مجالات الحائظ ومنها استخدام تقنية الحوار، ومنها استخدام الصور الشارحة وما إلى ذلك أخيراً فالإصرار على تدريس الفلسفة للأطفال هو أحد السبل الضرورية لتهيئة العقل العربي وتحريره من الانقياد وراء المسلمات الجاهزة والأفكار المعلّبة وإبداع منظومة تفكيره الخاصة والمميزة.

4. تعليم الأطفال اعتماداً على منهج لييمان أو غيره يعد استثماراً تربوياً قيماً، ويشكل حلاً لتحديات التعليم المقبلة ومواجهتها بأدوات بسيطة يمكن أن يتبنّاها المعلمون ولتترك جانباً كل الدعوات التي تضع الفلسفة في برج عاجي بعيداً عن النظام التربوي العام وبعيداً عن الطفولة.

5. هدف الفلسفة إنماء روح التساؤل في الطفولة والتي يمكن أن تستمر بغض النظر على مشاكل الحياة في المستقبل، وكذلك إنماء المهارات منها التحدث عند الطفل والاستماع، مهارة التفكير والفهم، والتواصل والتعبير، والتفكير النقدي.

6. تفكير الطفل مع الآخرين بشكل جمعي من خلال قضية معينة أو قصة معينة ومحاولة إيجاد حلاً لها من خلال النقاش المثمر؛ لأنّ السؤال الفلسفي يفتح أبواب التأمل والتفكير ويستحوذ على مساحات مهمة ولا نهائية للنقاش بعكس السؤال المعرفي فهو مغلق ومرهون بإجابة واحدة مثل $2=1+1$.

7. إنالفلسفة تعلمنا أن نفكر، وأن نتساءل وأن نستخلص النتائج وأن نطبق الاستجابات النقدية للمشاكل اليومية، فنحن نعلم الطلاب السيرة الذاتية للفلاسفة وأفكار المفكرين العظام ولكن لا ينبغي أن يقتصر تدريس الفلسفة على تكرار العبارات والأفكار للآخرين فالأطفال والطلاب محتاجين أن يتعلموا التفكير وطرح الأسئلة وأن يكونوا ناقدين هذا هو التفلسف.

هوامش البحث ومصادره:

- (1) عبد الكريم بكار، تأسيس عقلية الطفل، دار وجوه للنشر والتوزيع ، الرياض، 2012 ، ص8
- (2) ينظر: مرجع سابق ص16
- (3) مرجع سابق ص16
- (4) كارين موريس، الأطفال والاشتغال الفلسفي، مجلة المحجة، عدد 29 (بيروت، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، 2014، ص10.
- (5) مرجع سابق، ص11.
- (6) ينظر: كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة محمد الشنيطي، دار القاهرة، 1967، ص55.
- (7) موقع مادريس اليوم: كيفية تعليم الأطفال تكوين الصداقات ، ينظر: Madreshoy.com/ar تمت الزيارة بتاريخ 2022/05/05م، الساعة: 12:00م.
- (8) محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص29
- (9) ينظر: كانط (عمونيال)، تأملات في التربية، ضمن ثلاثة نصوص، تعريب وتعليق محمد بن جماعة. ط1 ، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، تونس، 2005 ، ص15
- (10) ينظر: كارين موريس، الأطفال والاشتغال الفلسفي، مرجع سابق، ص12.
- (11) مرجع سابق، ص14.
- (12) شباك المصطفى، الحداثة والتربية، ترجمة محمد أسليم، دار الثقافة، 1999، ص30-31.
- (13) عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية النمو، (دراسة في نمو الطفل المراهق) ، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص141.

- (14) مرجع سابق ص 142
- (15) مرجع سابق، ص 220
- (16) ينظر: فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، مصر، 1968، ص147.
- (17) مرجع سابق، ص147.
- (18) ينظر: عبد الرحمن عيسوي: سيكولوجية النمو مرجع سابق، ص93، 94.
- (19) إبراهيم بسيوني عميرة وآخرون، تدريس العلوم والتربية العلمية ط67 دار المعارف، 1981، ص70
- (20) عبد الواحد أولاد الفقيهي، الطفل والفلسفة، دار النشر أفريقيا الشرق، 2017، 37.
- (21) ينظر: موسوعة ستانفورد للفلسفة، فلسفة للأطفال ترجمة سميرة أحمد بادغيش، بدون دولة، 2017، ص4، 5.
- (22) تعليم الفلسفة للأطفال في بعض التجارب الدولية - الشرق الأوسط <https://aawsat.com/pdf/issue15295//index.html> تمت الزيارة بتاريخ 2022/05/02 الساعة 1:00م.
- (*) أستاذة الفلسفة الفرنسية ، بجامعة تانن ، وحاملة كرسي اليونسكو للفلسفة مع الأطفال
- (23)عبدالكريم بكار، تأسيس عقلية الطفل، مرجع سابق، ص118.
- (24) مرجع سابق، ص119.
- (25) ينظر: مقال: العلوي رشيد، تعليم الفلسفة للأطفال في بعض التجارب الدولية، 23 يوليو 2015، ص2 ينظر: <https://aawat.com>
- (26) ينظر: مرجع سابق، ص3.
- (27) ينظر: سعاد محمد فتحي محمود، مقال تدريس الفلسفة للأطفال: لماذا وكيف، بنصرف 24-11-2022، ص2.

- (28) ينظر: محمد ثابت الأفندي، مع الفيلسوف، مرجع سابق، ص32.
- (29) مرجع سابق، ص34
- (30) مرجع سابق، ص34.
- (31) مرجع سابق، ص66.
- (32) ابتهاج عبدالوهاب، أسئلة الوجود الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة ، 2005، ص64.
- (33) مرجع سابق، ص66.
- (34) ينظر محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، مرجع سابق، ص 16.
- (35) جمال الدين عبدالحميد أحمد، مبادئ الفلسفة والأخلاق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص10.
- (36) زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر الفجالة، بدون تاريخ، ص 80
- (37) كارل سيرز : مدخل إلى الفلسفة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، ط1 ، مكتبة القاهرة الحديثة، 1967 ص 56
- (38) مطاع صفدي: ديوجين باحثا عن مصباحة في ظهيرة الحداثة. لقاء سقراط في عتبة الألفية الثالثة، دراسة منشورة ضمن فاعليات ندوة : “ المعرفة والحكمة “ الدورة الثالثة لملتقيات قرطاج الدورية 15-20 ابريل 2002 المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون “ بيت الحكمة، قرطاج، تونس
- (39) نقلاً عن زكريا إبراهيم، مرجع سابق ص 46
- (40) مرجع سابق، ص 81
- (41) مرجع سابق ص7-8
- (42) مرجع سابق ص10.
- (43) حسن حماد، دوائر التحريم : السلطة الجسد المقدس، مصر العربية للنشر والتوزيع 2016، ص33.

- (44) مونيككا نتوسبيرير: إلى أي مدى يمكن أن يكون التسامح؟ ترجمة: بهجت عبدالفتاح عبده، دراسة منشورة بمجلة ديوجنيس، العدد 176/120، ص127، 128.
- (45) فتحي التريكي: الفلسفة الشريرة ، مركز الإنماء القومي ، توني بدون تاريخ، ص26، 28
- (46) ينظر: عبدالرحمن عيسوي، سيكولوجية النمو، مرجع سابق، ص30، 31.
- (47) مرجع سابق، ص32.
- (48)Lipman: philosophy for children The journal of philosophy
For children ، vol33، 1982
- (49) ينظر: ميشيل طوزي، فلسفة التربية وتربية الطفل على الفلسفة، ترجمة محمد الأدريسي ورشيد المشهور، ضمن مجلة نقد وتثوير، العدد الرابع، السنة الثانية، 2016، ص324.
- (50) مرجع سابق، ص332.
- (51) مرجع سابق، ص330.
- (52) كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص59.